

بلاد الشام في عيون الرحالة الروس

” قسطنطين بازيلي نموذجاً ”

أ.د/ أشرف محمد عبد الرحمن مؤنس

أستاذ التاريخ الحديث و المعاصر

بجامعة عين شمس

مقدمة :

تعد كتابات الرحالة، من المصادر التي تحتوي على معلومات مهمة دونت من قبل رجال قصدوا الحقيقة و راحوا يجوبون أرجاء العالم، و كانت تلك المعلومات الأساس الذي بني عليه المؤرخون نظرياتهم و آراءهم. ويمثل أدب الرحلة لوناً أدبياً له بواعثه و خصائصه وأهدافه، يتنافس في ميدانه التاريخ والأدب والفنون وعلوم أخرى^(١).

تعد كتابات الرحالة من أهم مصادر كتابة التاريخ، فهي تعتمد على الإدراك الحسي المباشر للأحداث، ولا تعتمد على النقل و السماع فقط، مما يجعل منها شهادة حية للوقائع التاريخية^(٢). وتتميز كتب الرحلات بأنها من أهم المصادر التاريخية والجغرافية والاجتماعية، لأن الكاتب يستقي المعلومات والحقائق من المشاهدة الحية، والتصوير المباشر، مما يجعل قراءتها غنية وممتعة ومسلية. وتختلف كتب الرحلات عن كتب التاريخ، حيث تعني كتب التاريخ بالحقائق فقط، ومحاولة تقديم صورة موضوعية مجردة بقدر المستطاع، بعيداً عن الميول الذاتية، ومع أن كتب الرحلات تحتوي على الكثير من الحقائق إلا إنها لا تخلو من الانطباعات الشخصية والانفعالات التي تملئها الظروف والمواقف المتباينة.

والفرق بين المؤرخ و الرحالة، أن المؤرخ يستقي معلوماته في غالب الأمر من الكتب والمستندات والوثائق، بينما يستقي الرحالة معلوماته من التجوال والتأمل والاستماع والمشاهدة^(٣).

والحقيقة، إن كتابات الرحالة عن بلاد الشام تعد مصدرًا مهمًا من المصادر التي يمكن أن يستفاد منها في بعض المجالات التاريخية و السياسية و الاجتماعية و الثقافية والفولكلورية. وتمثل مادة علمية تساعد الباحثين في التعرف على جوانب كثيرة من الحياة و الثقافة في بلاد الشام و الصراعات السياسية والدينية التي شكلت وعي الإنسان و ثقافته بما فيها من عادات و تقاليد و تصورات شعبية .

وسوف نتناول في هذا البحث أحد الرحالة الروس وهو قسطنطين بازيلي وهو كاتب ومؤرخ ودبلوماسي.

من أوائل الدبلوماسيين الروس الذين وصلوا إلى بلاد الشام في أواخر عقد الثلاثينيات من القرن التاسع عشر، واستقر في بيروت متجولاً في رحلات متتالية في أنحاء بلاد الشام (فلسطين ولبنان وسورية) استمرت بضع سنوات تمخضت عن كتاب مهم هو "سورية و فلسطين تحت الحكم العثماني". وهو من أهم كتابات قسطنطين بازيلي بصفة خاصة ، بل ويُعد من أهم المراجع الأساسية في تاريخ بلاد الشام بصفة عامة .

وأهم النقاط الرئيسية التي سوف نتناولها في هذا البحث ما يلي:

- نبذة عن حياة قسطنطين بازيلي.
- دوافعه من تدوين هذا الكتاب.
- أهم الوقائع التي تناولها في كتابه.
- زيارة قسطنطين بازيلي لمصر.
- القيمة العلمية للكتاب.

تعريف بـ قسطنطين بازيلي:

قسطنطين ميخائيلوفيتش بازيلي دبلوماسي Basile Mikhalovich Constantine

وكاتب ومؤرخ ومستشرق روسي، يوناني الأصل، كان يهوى الرحلات.

وكان قسطنطين بازيلي أحد القناصل الروس البارزين لدى الدولة العثمانية، والذي تمتع بثقافة تاريخية و أدبية عالية، ممن عالجا الوجود الروسي في فلسطين من خلال اهتمامه بتاريخ سورية و فلسطين و الذي تجلّى في كتابه " سورية و فلسطين تحت الحكم العثماني " .

ولد قسطنطين م. بازيلي في ٣ فبراير ١٨٠٩م في مدينة استانبول Istanbul الأسرة يونانية غنية. كان جده مالكا عقارياً كبيراً، إلا إنه جرد من أملاكه بسبب مساعدته للألبان في نضالهم ضد السلطات العثمانية في عام ١٧٧٢م، وحكم عليه بالإعدام غيابياً. وحينما بدأت الثورة اليونانية في عام ١٨٢١م، كان أبوه ميخائيلوفيتش على صله بالقوميين اليونانيين فحكم عليه بالإعدام أيضاً، إلا إن أسرة بازيلي استطاعت بمساعدة السفير الروسي الكونت ستروغانوف Stroganov الهرب سراً من إستانبول إلى أوديسا Odessa (٤).

تلقى قسطنطين م. بازيلي تحصيلاً عميقاً في العلوم الإنسانية، في مدرسة العلوم العالية في مدينة "نيجين" Negin الأوكرانية التي قبل في قسمها الداخلي عام ١٨٢٢م، ومن ثم في مدرسة "ليسيه ريشيليه" Lycee Rachelet في أوديسا التي أصبحت فيما بعد "جامعة نوفو روسيا" Novorassia University والتي تخرج منها عام ١٨٣٠م، كما تخرج منها فيما بعد كُتاب و فنانون و علماء مشهورون، وفي المدرسة عقد أواصر الصداقة بين بازيلي و نيكولاي جوجول Nikolai Gogol (٥) الكاتب الروسي الشهير (٦)، وأصبح بازيلي مساهماً في حلقة جوجول الأدبية. وبعد تخرج بازيلي، سافر إلى اليونان و عمل مترجماً لدى قائد الأسطول الروسي في البحر المتوسط الأدميرال ريكورد (٧).

وفي أواخر عام ١٨٣٣م عين في الخدمة الفعلية في القسم الآسيوي لوزارة الخارجية الروسية، في سان بطرسبورج ST PETERBURG، وأثناء عمله قام بتأليف ثلاث مؤلفات أدبية هي :

- الأرخيبيل واليونان في عامي ١٨٣٠-١٨٣١م، جزءان، نشر في سان بطرسبورج عام ١٨٣٤ م .
- مقالات عن القسطنطينية، جزءان، نشر في سان بطرسبورج عام ١٨٣٦ م .
- اليوسفور ومقالات جديدة من القسطنطينية، جزءان، نشر أيضاً في سان بطرسبورج عام ١٨٣٦ م .

في ٢٤ ديسمبر ١٨٣٨م عينته وزارة الخارجية الروسية قنصلاً في يافا، تابعاً لقنصل روسيا العام الموجود في مدينة الاسكندرية^(٨)، ثم نقل إلى بيروت، حيث مركز التجارة ومقر القنصليات الأوروبية الأخرى، وفي بيروت تم نقل المركز القنصلي الروسي إليها في عام ١٨٣٩م ، وأصبح بازيللي القنصل العام عام ١٨٤٣م و مسئولاً عن جميع ممثلي القنصلية في سوريا، و منهم ممثل القنصلية في القدس^(٩).

وتلقى بازيللي تعليماته من قبل الحكومة الروسية، والتي أوصت بالعمل على إقامة علاقات وطيدة مع بطريرك القدس، والسلطات الكنسية المقيمة في سورية وفلسطين، وأن يولي الاهتمام بمصالح المسيحيين والكنيسة الشرقية، وإقامة علاقات ودية مع رؤساء الطوائف المسيحية الأخرى، ومساعدة الحجاج الروس^(١٠).

ومن الاقت للنظر أن جميع التعليمات التي أعطيت لقسطنطين بازيللي تعليمات للاهتمام بالجانب الديني أكثر من السياسي ، باعتبار أن روسيا كانت تعتبر نفسها جامعة للكنيسة الشرقية والمذاهب الأرثوذكسي بعد سقوط الإمبراطورية البيزنطية عام ١٤٥٣م، فقد كانت روسيا تطمح في أن تقوم بدور مماثل لما كانت تقوم به فرنسا وإنجلترا لحماية المسيحيين الكاثوليك في هذه المنطقة التي كان المسيحيون العرب يشكلون آنذاك نسبة غير قليلة من السكان .

و ظل بازيللي يشغل هذا المنصب لمدة خمسة عشر عاماً في الفترة (من ١٨٣٨ إلى ١٨٥٣م)، وقد جاء ثمره هذه السنوات كتاب بعنوان "سورية وفلسطين تحت الحكم العثماني" وقد نشر في مدينة أوديسا الروسية عام ١٨٦١م، ويعد هذا الكتاب من أشهر وأهم مؤلفاته ، وقد ترجم هذا الكتاب للعديد من اللغات من بينها العربية^(١١). والكتاب على الرغم من أن عنوانه (سورية وفلسطين تحت الحكم العثماني) إلا إن صاحبه يؤرخ لفترة حكم محمد علي باشا حاكم مصر (١٨٠٥-١٨٤٨م) وعلاقته ببلاد الشام إبان عقدي الثلاثينيات والأربعينيات من القرن التاسع عشر الميلادي.

وقد استضاف بازيللي في منزله في بيروت العديد من الكتاب و الأدباء الروس منهم أندرية مورافيوف A. Muravyov والارشمندريت يورفيوريوس أوسيينسكي U. Ospenski والكاثب نيكولاي جوجول Nikolai Gogol، والمؤرخ كونداكوف Kondakov والشاعر ب. فيازيمسكي P. Vyazemsky وغيرهم كثيرون^(١٢).

يقع كتاب بازيلي في حوالي ٣٥٨ صفحة من القطع المتوسط، و قد اتسم هذا الكتاب بطابع الدراسة التاريخية؛ إذ تناول فيه مؤلفه الأحداث التاريخية التي مرت بها بلاد الشام منذ منتصف القرن الثامن عشر، وعلى امتداد ما يقرب من قرن من الزمان، وقد أصبح هذا الكتاب مرجعاً مهماً بالنسبة لكثير من الأدباء الروس^(١٣). وهو كتاب بالغ الأهمية لا يعادله أي كتاب استشراقي آخر حول تاريخ بلاد الشام في تلك الفترة^(١٤).

هذا الكتاب المهم يصور منطقة بلاد الشام منذ أن وصل قسطنطين بازيلي إلى بيروت في ١٨٣٩/١١/٢٠م أي بعد خمسة أشهر من إندلاع حرب الشام الثانية بين محمد علي باشا حاكم مصر، والسultan العثماني محمود الثاني (١٨٠٨-١٨٣٩م) ،ومكث بها حتى عام ١٨٥٣م، أي مع بداية حرب القرم التي نشبت بين الإمبراطورية الروسية والدولة العثمانية . وبذلك يعد قسطنطين بازيلي شاهد عيان على أهم الأحداث السياسية والعسكرية التي حدثت في بلاد الشام خلال فترة إقامته .

أهم الوقائع التي تناولها قسطنطين بازيلي في مؤلفه:
يتكون هذا الكتاب من أربعة وعشرين فصلاً^(١٥) :

الفصل الأول: تناول عناصر المجتمع السياسي العربي في سورية والنظام الإقطاعي في الشرق، وتحدث عن الأمراء والشيوخ والعائلات الحاكمة (اليمنيين والقيسيين)، والغزو العثماني لبلاد الشام، ثم نظام التزام الإدارة المالية، ثم الحملة العثمانية الأولى على لبنان، كما تناول عائلتا (المعنيين والشهابيين)، ومغامرات فخر الدين المعني، وممتلكاته و نفوذه و ختم الفصل بالصراع بين العنصر العربي ضد العنصر التركي.

وقد تناول في **الفصل الثاني:** عهد الشهابيين في لبنان و معركة عين داره و آثارها، ونشوء حزبي (اليزيكيين والجنبلاطيين) والانسائس العائلية وبدء نفوذ الموارنه. كما تطرق للحديث عن الوهابيين في شبه الجزيرة العربية و المماليك في مصر، و العلاقات بين الروس والمماليك و وفاة علي بيك الكبير و وفاة ظاهر العمر، والغطرسة التركية في سورية.

أما الفصل الثالث: تناول الاضطرابات في لبنان، وأحمد الجزائر ومكائده، والفتن بين الأمير يوسف وأخوته، وتمردات المماليك، وتنازل أمير لبنان وانتخاب الأمير بشير، انتفاضة الجبليين، فرار البشير، انتقام الجزائر، والحملة الفرنسية على الشام ١٧٩٨م واستيلاءهم على يافا، وحصار عكا، والانتطباع الذي أحيطه حملة الفرنسيين، ومخططات بونابرت لم تتحقق، ثم ختم الفصل بتوضيح الاختلاف بين مصر و سورية.

الفصل الرابع: تناول الحالة السياسية في سورية، علاقات الأمير بشير بالإنجليز، صلح الجبليين والحرب على الجزائر، والإجراءات التي اتخذها الباب العالي للاستيلاء على عكا، كما تناول اعتناق الشهابيين المسيحية لاعتبارات سياسية و دينية، فقد كان الأمير بشير الشهابي حاكم لبنان درزيًا مع الدرّوز، ومسيحيًا مع المسيحيين ، ومسلمًا مع المسلمين .

الفصل الخامس: تناول الحالة الداخلية للدولة العثمانية بعد الحرب ضد روسيا عامي ١٨٢٨-١٨٢٩م، كما تناول مآرب محمد علي تجاه سورية، وحملة إبراهيم باشا، ونجاحات المصريين في سورية، واستيلاء إبراهيم باشا على عكا.

الفصل السادس: تناول الأسباب الأساسية التي أدت لضعف الدولة العثمانية، وحملة المصريين على آسيا الصغرى، كما تناول تدخل روسيا في شئون الشرق، وموقف الدول الأخرى، ووصول الأسطول والجيش الروسيين إلى البوسفور، وختم الفصل بمعاهدتي كوتاهية، وهنكار أسكله سي.

ومن المعروف أن معاهدة كوتاهية والتي أبرمت في مايو ١٨٣٣م وبمقتضاها صارت حدود مصر الشمالية تصل عند مضيق كوك بجزال طوروس، وبذلك انتهت الحرب السورية (حرب الشام الأولى) بتوسيع نطاق نفوذ مصر في سورية وأضنة وتأييد سلطتها على كريت وشبه الجزيرة العربية. وقد وقع السلطان العثماني محمود الثاني، على هذه المعاهدة مرغماً، ولذا سعى لنقض هذه المعاهدة عندما وقع معاهدة سرية مع روسيا تعرف بمعاهدة (هنكار أسكله سي) في ٨ يوليو ١٨٣٣م والتي تخول لروسيا بسط نفوذها على مضيقي البوسفور والدرنيل، والمعاهدة الأخيرة لم يبرمها السلطان العثماني على ما فيها من مهانة للدولة العثمانية إلا ليسعى لنقض معاهدة كوتاهية^(١٦).

الفصل السابع: تناول تأثير الإصلاحات في سورية وآسيا الصغرى، وحملة الأتراك على كورديستان، ومحمد علي وإصلاح النظام المالي في سورية، وإيرادات ومصروفات محمد علي في سورية، وبعض الإنشاءات مثل الكرنينيات (الحجر الصحي) و الشرطة والبريد.

الفصل الثامن: تناول التجنيد في سورية، و تناول تمردات اليهودية والدروز، والامتيازات الممنوحة للمسيحيين، كما تناول التسامح الديني والآثار التي ترتبت عليه ، وختم الفصل ببقوية الجيش المصري في سورية.

الفصل التاسع: تناول تقييد الحقوق الإقطاعية في سورية و ملاحقة الأعيان، والنظام الإداري للأمير بشير، ثم بداية الامتيازات اللبنانية ، ثم ختم الفصل بالعلاقات المتبادلة بين الباشا محمد علي و الأمير بشير الشهابي.

الفصل العاشر: تناول الأوضاع في سورية في مستهل عام ١٨٣٩م ، ثم استعدادات السلطان محمود الثاني الحربية، وطموحات محمد علي بالاستقلال بحكم مصر وموقف الحكومات الأوروبية منهما.

الفصل الحادي عشر: تناول مرض السلطان العثماني محمود الثاني و تبوء السلطان عبد المجيد العرش (١٨٣٩-١٨٦٠م) ، ومعركة نصيبين أو نزيب يونيو ١٨٣٩م انتصارات إبراهيم بن محمد علي باشا.

الفصل الثاني عشر: تناول القلق في استانبول من انتصارات إبراهيم بن محمد علي، ومطامع محمد علي في حقوق السلطان العليا، والمباحثات بين الدول الكبرى، الأساطيل في الدردنيل، الوعود بالتسامح الديني.

الفصل الثالث عشر: تناول افتتاح مؤتمر لندن في مايو ١٨٤٠م، مبعوث محمد علي، وظهور الأسطول الإنجليزي في بيروت، آخر انتصارات محمد علي، وختم الفصل بحملة الدول الأوروبية ضد محمد علي .

الفصل الرابع عشر: تناول العلاقات بين الدول الأوروبية الكبرى، تعهدات الدول الكبرى، بإعلام محمد علي بقرارات الدول الكبرى، مذكرة القناصل، رفض محمد علي لها و اعتماده على مساندة فرنسا.

الفصل الخامس عشر: تناول الأوضاع في سورية في اعقاب معاهدة لندن ١٨٤٠م، نجاحات الدول الأوروبية، احتلال الساحل السوري، تراجع جيش إبراهيم باشا، ثم تسليح الجبلين، والانتفاضات المتلاحقة للقبائل السورية، الفوضى في فلسطين، حشد الجيش المصري في دمشق، ثم خروج إبراهيم باشا من دمشق.

الفصل السادس عشر: تناول مخططات الباب العالي للقضاء على محمد علي، التغيير في سياسة فرنسا وتخليها عن محمد علي، واضطرار محمد علي للرضوخ، الحل النهائي للمسألة المصرية Question Egypt، ومعاهدة المضائق (مضيق البسفور والدرينيل).

الفصل السابع عشر: تناول انسحاب الجيش المصري من سورية (بلاد الشام)، مرض إبراهيم باشا و عودته إلى مصر.

الفصل الثامن عشر: تناول مصير سورية السياسي و الديني (اليهودية و المسيحية والإسلام)، ثم تدهور سورية، وختم الفصل بمحاولة الإنجليز بعث الطرق التجارية القديمة.

الفصل التاسع عشر: تناول عودة نفوذ السلطان العثماني إلى سورية، اضطهاد المسيحيين، تقسيم سورية، ثم تناول تطبيق بنود معاهدة التجارة لعام ١٨٣٨م؛ وتصفية الاحتكارات، ونظام الإدارة الجديدة، و أخيراً تأثير الإصلاح و الغزو في التطور المعنوي للقبائل السورية.

الفصل العشرون: تناول نبذة تاريخية عن مآثر كوجوك علي أوغلو (خليل بيك) الصدر الأعظم الذي انعم عليه السلطان سليم الثالث (١٧٨٨-١٨٠٧م) بلقب باشا، وعن ابنه (دده بيك، ومستيك بيك).

الفصل الحادي والعشرون: تناول حالة بلاد الشام في ظل تنظيم السلطة الجديد، أمير لبنان بشير القاسم، دسائس الأعيان اللبنانيين و تطلعات الشعب، مآرب رجال الدين الكاثوليك ومساعي المنصرين البروستانت، الاسقية البروستانتية في القدس، أسباب النزاعات اللبنانية.

الفصل الثاني والعشرون: تناول الاضطرابات في بلاد الشام؛ قلاقل في مدينتي نابلس و اليهودية، أول حرب داخلية بين الموارنة (المسيحيين) والدروز (المسلمين) في عام ١٨٦٠م، انتصار الدروز، عزل أمير لبنان، الدسائس الدينية الداخلية والخارجية، الاضطراب في لبنان، عصيان الدروز.

الفصل الثالث والعشرون : تناول نظام الإدارة الجديد في لبنان، سقوط الشهابيين، مصائب مسيحي جبال لبنان الشرقية، ادعاءات الدول الكاثوليكية، اضطرابات جديدة بين الموارنة بصدد انتخاب البطريرك ، ثم ختم الفصل بالحديث عن شئون البدو.

الفصل الرابع والعشرون الأخير: تضمن تخوفات الباب العالي، قدوم شكيب أفندي وزير الخارجية إلى بيروت، دخول الفيلق العسكري الجبال، اعتقال الشيوخ، نزع سلاح الجبلين، التنظيم النهائي للإدارة اللبنانية، إعادة الهدوء إلى سورية، و أخيراً أهمية القضية اللبنانية بالنسبة إلى القانون الدولي.

هكذا نجد مدى قدرة قسطنطين بازيلي في رصد الأحداث التاريخية في بلاد الشام، والصراعات السياسية والزخم السياسي الذي انتاب المنطقة طوال القرن التاسع عشر الميلادي ، ويتضح من هذا العرض مدى قدرة الدبلوماسي قسطنطين بازيلي على التأريخ لأحداث المنطقة، سواء في الأحداث التي عاصرها بنفسه خلال فترة عمله، أو في الأحداث التي لم يعاصرها بنفسه ورجع لمصادر تاريخية استقى معلوماته منها.

أما عن أهم الأحداث التي عاصرها قسطنطين بازيلي بنفسه، ما تضمنه الكتاب من وثائق منذ فتح القنصلية الروسية الأولى في بيروت، وكذلك الكثير من المواد حول النشاط التعليمي لروسيا في فلسطين وسورية، وتأسيس الجمعية الإمبراطورية الأرثوذكسية الفلسطينية في القدس عام ١٨٤٦م والتي تعد محطة مهمة في التاريخ الروسي - الفلسطيني، حيث بدأت مع تأسيس هذه الجمعية مرحلة مهمة في تاريخ علاقة روسيا بفلسطين و الأرض المقدسة.

واتسم بازيلي بالعداء تجاه البعثات التنصيرية الأوروبية البروتستانتية التي قامت بها فرنسا وبريطانيا، و قدم بها شكوى لحكومته بخصوص أن القنصل البريطاني في دمشق يقدم المساعدات لهذه البعثات التي تعمل على تحويل المسيحيين الأرثوذكس إلى المذهب البروتستانتية، فقام نيسلورد (Nesslord ١٧٨٠-١٨٦٢م) وزير الخارجية الروسي برفع هذه الشكوى إلى أبردين Aberdeen وزير خارجية بريطانيا (١٧٨٤-١٨٦٠م)، وسرعان ما قام الأخير بتوجيه إنذار إلى القناصل البريطانيين في دمشق وبيروت وغيرها يحذرهم من إثارة العداء الروسي في الأماكن المقدسة^(١٧).

كما تضمن الكتاب وثائق مهمة حول تأسيس اللجنة الفلسطينية التابعة لقسم آسيا في وزارة الخارجية الروسية التي نشطت في مجال البناء و التعمير في فلسطين.
وتضمن الكتاب أيضاً المواد والمراسلات بين وزير الخارجية الروسي "تيسلورد" مع البعثة الروسية في القسطنطينية.

ووصف قسطنطين بازيلي موقف إبراهيم باشا من مواجهة ثورة النصيرية^(١٨) في أكتوبر عام ١٨٣٤م، وثورة حوران ١٨٣٧م من إخماد هذه الثورات ونزع السلاح وتجنيد نحو أربعة آلاف من أهل البلاد، بالتجنيد الإجباري الذي انتهجه الذي أدى إلى تدخل القنصليات وقناصل الدول الأوروبية لإنقاذ المسلحين الهاربين الذين طلبوا الحماية منهم، وكان أكثر الهاربين من المسيحيين الإرتونكس^(١٩).

و بازيلي شاهد عيان على المنازعات الداخلية الدموية التي شهدتها لبنان خلال الأعوام (١٨٤١-١٨٤٥م)، و خلال فترة إقامته زار مختلف مدن و مناطق بلاد الشام، و تعرف عن قرب على أحوال سكانها^(٢٠)، عمومًا الكتاب لم يترك شاردة ولا واردة عن بلاد الشام إلا وتناولها بالتفصيل.

ويُعد هذا الكتاب من أهم ما كتب عن بلاد الشام و خاصة عن فترة إبراهيم باشا وحملته على فلسطين، وتحول مدينة نابلس إلى عاصمة الانتفاضة ضد إبراهيم باشا، حيث تحدث الفصل الثامن من كتابه عن انتفاضة جبل النار مبيناً الأسباب و الدوافع التي كانت من وراء تمرد منطقة جبال نابلس على إبراهيم باشا، وتحرك والده (محمد علي) بإرسال المساعدات لإنقاذها.

اتسم قسطنطين بازيلي بعدائه للدولة العثمانية العدو اللدود لروسيا، وبعدائه لمحمد علي باشا، فقد خاضت روسيا حروباً عديدة ضد الدولة العثمانية، وكذلك حروباً عدة ضد سياسة محمد علي باشا ، فقد كانت الدولة العثمانية تهيمن على مضيق البسفور والدرنيل التي كانت روسيا تأمل في السيطرة عليهما للخروج من المياه الباردة والمياه الدفيئة ، وفي الوقت نفسه كانت روسيا تخشى من استيلاء محمد علي على إستانبول التي كان القياصرة الروس يطمحون في الاستيلاء عليهما.

وعلى الرغم أن بازيلي أنجز هذا الكتاب في أواسط عام ١٨٤٧م إلا إنه لم ينشر إلا في عام ١٨٦١م، أي بعد ثماني سنوات من مغادرة بازيلي لعمله القنصلي في بلاد الشام ١٨٥٣م^(٢١). و بعد أربعة عشر عامًا من الانتهاء من تدوين الكتاب.

ويبدو أن التأخير في إصدار الكتاب يرجع إلى أن الرقابة في وزارة الخارجية الروسية لم تسمح بنشر الكتاب؛ بسبب أن بازيلي شخصية رسمية، وأن الكتاب يمس القضايا السياسية الخارجية الروسية آنذاك.

زيارة قسطنطين بازيلي لمصر:

وفي أغسطس ١٨٣٩م، زار قسطنطين بازيلي مصر، بناءً على تعليمات تلقاها من السفير الروسي في استانبول "إيفان بيتروفيتش بوتينيف" Ivan Petrovich Botiniv بالتوجه إلى الإسكندرية ليُقدم نفسه إلى القنصل الروسي العام في الإسكندرية الكونت "الكسندر ميديم" Alexander De Medm (١٨٣٧-١٨٤٠م) الذي كان يخضع له في ذلك الحين القناصل و الوكلاء الروس المقيمون في بلاد الشام^(٢٢) باعتبار أن القنصلية الروسية في الإسكندرية قنصلية عامة بينما بقية القنصليات الأخرى في بلاد الشام قنصليات فرعية تابعة لها.

وخلال هذه الزيارة، اقترح بازيلي على ميديم نقل المركز القنصلي الروسي من يافا إلى بيروت التي كانت قد ترسخت فيها حينذاك قنصليات الدول الأوروبية، وتحويل قنصلية بيروت من قنصلية فرعية إلى قنصلية عامة مثل قنصلية الإسكندرية، و بذلك يسهل نشر بلاغات دائرة اختصاص قنصلية بيروت إلى سائر الوكالات القنصلية الروسية^(٢٣) الموجودة في بلاد الشام^(٢٤).

ولاشك أن هذا التعديل كان يهدف إلى تحسين أداء التمثيل القنصلي الروسي في بلاد الشام، ويرفع من شأن القنصل الروسي بين ممثلي السلك القنصلي الآخرين في بيروت، وقد أقرت المراجع العليا في سان بطرسبورج هذه الاقتراحات.

ونفذت خطة بازيلي كاملة في عام ١٨٤٣م، و حولت قنصلية بيروت إلى قنصلية عامة وأصبح بازيلي قنصلاً عاماً^(٢٥). وهو بذلك يعد أول قنصل عام روسي في بلاد الشام.

ولذا ارتبط النشاط القنصلي وتنظيم القنصلية الروسية في بيروت باسم بازيلي، وليس مصادفة أن يأتي إلى فلسطين في ذلك الوقت ١٨٤٣م المستشرق يورفيريروس أوسبنسكي الذي أسس فيما بعد أول بعثة دينية لروسيا في القدس ١٨٤٦م تحت إشرافه لحماية السكان الأرثوذكس في الدولة العثمانية، ومجابهة السياسة الدينية الفرنسية والإنجليزية التي كانت تطمح في فرض حمايتها على الكاثوليك و البروتستانت^(٢٦).

وابان زيارة بازيلي لمصر في أغسطس ١٨٣٩م تقابل مع محمد علي باشا و تحدث معه حول التغييرات التي شهدتها مصر خلال سنوات حكم محمد علي (١٨٠٥-١٨٣٩م) وكانت أهمية هذا اللقاء ترجع إلى أنها جاءت في أعقاب الحرب المصرية العثمانية عام ١٨٣٩م، التي تعرف باسم حرب الشام الثانية والتي وقفت خلالها روسيا إلى جانب الباب العالي في نزاعه ضد محمد علي.

انتقد قسطنطين بازيلي في كتابه "سورية و فلسطين تحت الحكم العثماني" تصرفات محمد علي الذي قال عنه: "اعترف بأنه جرى من الأحاديث عن هذا الإنسان الشهير في كل الرحلات و في كل المدونات السياسية المعاصرة، و صدر من سير محمد علي ما جعلني اعتبر أن من حقي الامتناع عن أن أقدم للباشا الشيخ هذه الفريضة التي قدمها الكتاب من كل الشعوب الذين زاروا مصر أو عكفوا على قضايا الشرق في العشرين عامًا الأخيرة^(٢٧)، ولعل فارق السن بين محمد علي وقسطنطين بازيلي لأكثر من أربعين عامًا كانت أحد العوامل التي جعلت بازيلي لا يرتاح لأعمال وإنجازات وأفكار محمد علي ولاشك أن ذلك اختلاف سياسات واختلاف أجيال .

أشار بازيلي إلى أنه اقتصر في حديثه مع محمد علي باشا، على صفة واحدة، صفة تعبر بما فيه الكفاية عن ميله الداخلي و رغباته التي كانت تشغله في تلك الفترة، أن الباشا (محمد علي) وقد أبلغه قنصلنا العام الكونت ميديم بوصولي، حدد لي موعداً في إحدى حدائق قصوره بالإسكندرية التي كان من عادته أن يجري فيها المقابلات. يقول بازيلي : " وجدناه بين محبوبيه المعروفين، توسيتا Toseta " القنصل العام لليونان " والصيرفين (زيزيني Zizina و بريغس Briggs)، و الكثير من الحاشية. كان الباشا جالساً على الديوان مقابل حوض من الماء، تحت الأوراق الفاخرة لشجيرات الموز. كان أميراله المسن "موتوش باشا" Motosh Pasha، أحد



مرافقي شبابه المقحام، يقف أمامه باحترام و يربط الهواء بمروحة عريضة من ريش النعام ويطرد الباعوض و الذباب عن شخصه الفائق الوقار. و كان أرتين بك Artin^(٢٨)، الذي أصبح ناظرًا للشئون الأفرنجية / الخارجية فيما بعد، يعمل مترجمًا. في ذلك الحين لم يعد محمد علي يرتدي العمامة، و لكنه لم يتقبل البدلة التركية الجديدة بعد، كان يغطي رأسه بطربوش بسيط بشرايبية زرقاء متدلّية إلى الخلف، وكانت رقبته مكشوفة على الطراز القديم، و كان يرتدي دراعه من الجوخ الأزرق مطرزة بشرائط حريرية ومفصلة على الطريقة التركية، وسروالاً عريضاً من اللون نفسه، وخفين أحمرين، بالإضافة إلى سيف برباط أحمر، و يحمل بيديه سبحة من الكهرمان تنتهي بها بدلته التي اعتمدها في الجيش والأسطول والبلاط والإدارة المدنية مع اختلاف حسب الرتبة في الخياطة ولون السترة، وفي شارة الصدر التي قد تكون من الذهب أو الألماس^(٢٩).

لا شك أن وصف بازيلى و تصويره لمجلس محمد علي وحاشيته بالتفصيل، تبين مدى الدقة التي تمتع بها بازيلى ومدى اهتمامه بشخص محمد علي . ويضيف بازيلى أن ملامح محمد علي باشا تعرب عن الوقار والهدوء أكثر مما تعرب عن روح المراس التي اتسم بها عمله^(٣٠). ثم يذكر " بازيلى " أنه، بعد التحيات المألوفة اقترح عليّ محمد علي باشا، أن أتفقد قبل كل شيء؛ مخزن الأسلحة، وليده المفضل، وترسانات السفن والمصانع والقصور وزيارة الآثار التي تتمتع بها مدينة الإسكندرية خاصة عمود بومبايوس والدياميس وغيرها^(٣١).

فقد كان محمد علي يفخر أمام الرحالة والدبلوماسيون الأجانب بما أنجزه في مصر، فهو بحق يعتبر مؤسس الإسكندرية الجديدة، بل و مؤسس مصر الحديثة نفسها، وتفاخر محمد علي كان يُعطي لفته مع الدبلوماسي الروسي بازيلى أهمية سياسية، ولاسيما إنه جرى في أعقاب الحملة السورية الثانية (١٨٣٩م) التي وقفت روسيا خلالها إلى جانب الباب العالي في نزاعه ضد محمد علي، ومن ثم يريد أن يظهر أمام بازيلى بمظهر القوة.

وقد استرعت اصلاحات وإنجازات محمد علي انتباه الرحالة والمستشرقين والدبلوماسيين الروس، ففقدوا المقارنات العديدة بينه و بين الحكام العظماء، فما هو بازيلى يعقد مقارنة بينه و بين الإسكندر المقدوني - فقد كان بازيلى يعلم أن محمد علي يجب أن يتشبه بالإسكندر الأكبر،

ويفخر بأن بلديهما "مقدونيا" واحدة - يذكر بازيلي أنه " قال للباشا - يقصد محمد علي - أن من بين كل ما صنعه العبقري المقدوني في العالم الذي أخضعه، بقيت الإسكندرية وحدها جديرة بذكره، و أن العناية الإلهية قدمتها، وكأنما بحق الوراثة إلى أحد مواطني مقدونيا ليجدد هذا الأثر الرائع^(٣٢). فقد كان إعجاب محمد علي بالإسكندر الأكبر يستأثر لبه وتفكيره، ويضيف بازيلي لقد "دغدغت ملاحظتي غرور الباشا إلى أقصى حد، فأخذ يتحدث برغبة عن مدينته الأم قوله"^(٣٣).

ورغم استقرار محمد علي باشا في ولاية مصر، إلا إنه ظل مرتبطاً بمسقط رأسه، فأشار بازيلي "ظلت ذكرى مسقط رأسه عزيزة عنده ولطالما أظهر عاطفته نحو الربوع التي درج فيها طفولته.

وبالمناسبة، لم يقتنع بازيلي على غرار الكثير من معاصريه بالصبغة الوطنية لادعاءات محمد علي تأسيس دولة عربية، لأن هذه الدولة لم تتأسس نتيجة لتطور داخلي يفتح للشعب "عهداً جديداً"^(٣٤).

الراجح الذي تؤيده الحوادث أن مشروع محمد علي كان يتناول إنشاء دولة عربية مستقلة في مصر، تضم إليها البلاد العربية في أفريقيا وآسيا، ففي أفريقيا قد استقل بمصر وضم السودان، وفي آسيا قد دخل معظم شبه جزيرة العرب وبسط عليها نفوذ الحكومة المصرية وبطموحه إلى بلاد الشام، أراد أن يؤسس الدولة المصرية الكبيرة^(٣٥).

ويؤيد هذه الفكرة رجحان بعض تصريحات فاه بها إبراهيم باشا خلال حرب الشام الأولى ١٨٣٢م عندما سئل إلى أي مدى تصل فتوحاته إذا تم له الاستيلاء على عكا؟ فقال، ما معناه إلى مدى ما يتكلم الناس باللسان العربي^(٣٦).

إن، مشروع تأسيس دولة عربية كبرى تكون مصر نواتها لم يكن ادعاء، فقد كان محمد علي يهدف إلى ذلك، وكان إبراهيم ابنه هو الأداة لتنفيذ هذا المشروع إلا إن إبراهيم توفي في حياة أبيه؛ أما إن هذه الدولة لم تتأسس نتيجة لتطور داخلي فاتفق في ذلك مع رأي بازيلي؛ لأنه من الخطأ أن نبرر ذلك؛ لأن محمد علي أدخل المدنية في مصر؛ ولأن المدنية نتاج لسلسلة من العمليات المتتابعة، ولا يمكن أن تأتي ارتجالاً في غضون عدة سنوات، ولا بد أن تكون المدنية نابعة من داخل المجتمع، وليست وافدة عليه من الخارج فحسب.

وإذ رأى بازيلي أن من المستحيل أن يغطي محمد علي بموارد مصر المحدودة نفقات معظم شبه الجزيرة العربية و بلاد الشام و السودان و سواحل الحبشة والصومال، و لذا يبحث عن الذهب في باطن الأرض^(٣٧).

إن موقف بازيلي السلبي من محمد علي، على الرغم من إعجابه بالكثير من مستحدثاته وإنجازاته مرده إلى إدراك التنافر بين تحولات محمد علي و الإمكانيات السياسية والاقتصادية والاجتماعية لمصر، و كراهية الهدف الرئيس لمحمد علي، أي إثرائه الشخصي و إثراء أسرته والمقربين إليه، و كذلك على ما يبدو كان هذا هو موقف الحكومة الروسية من محمد علي خاصة أن هذه الزيارة جاءت في أعقاب حرب الشام الثانية ١٨٣٩م. والعلاقات بين محمد علي وروسيا لم تكن علاقات طيبة.

كما بالغ بازيلي في انتقاده لمحمد علي إذ ذكر في كتابه " ... يبدو أن المحفوظ العجوز أجهده توتر قواه الذهنية، ونزوات الخيال التي حكمت المخططات الطموحة لابن الروملي " يقصد (البلقان)^(٣٨). وبضيف " ... كان العاهل المعذب يعيش على جرعات الأفيون وحدها"^(٣٩)، و أنه " ... لجأ في سن الشيخوخة و هو على حافة القبر، إلى تقاليد الفوضى القديمة، و على غرار الانكشارية، الذين كانوا يطالبون في العهود الغابرة بتغيير الوالي و الولاة، لم يقتصر في هذه الحالة على الطمع في الفوائد له ولأسرته، و لكنه تناول على حقوق السلطة العليا، مطالب بعزل الصدر الأعظم، و في الوقت نفسه انتهك حقوق السلطان الدينية بوقاحة"^(٤٠).

يبدو إن انتقاد بازيلي لشخص محمد علي ونعته بهذه الكلمات الساخرة التي تخلو من الدبلوماسية واللياقة والموضوعية، ترجع إلى تزامن زيارة بازيلي لمصر في عام ١٨٣٩م في أعقاب حرب الشام الثانية التي وقعت فيها روسيا والدول الأوروبية ضد محمد علي هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى اعتقد أن نفسية محمد علي لم تكن على ما يرام بسبب وقوف الدول الأوروبية ضده وتصديها لانتصاراته والوقوف أمام طموحاته، ولعل رؤية بازيلي لمحمد علي، وهو على هذه الحالة السيئة هي التي جعلته يصفه بهذه الصفات السلبية. فلم يكن محمد علي يعيش على جرعات الأفيون - وإنما كان يعالج من أمراض الشيخوخة - وإلا ما استطاع أن يقوم بكل هذه

الإنجازات في مصر، ولم يتناول محمد علي على حقوق السلطان الدينية، وإنما كان يهدف إلى الاستقلال بحكم مصر. وكان بازيلى بلا شك يمثل رؤية بلاده في التصدي لمحمد علي آنذاك.

القيمة العلمية لكتاب قسطنطين بازيلى:

قيمة كتاب قسطنطين بازيلى لا تنحصر في تفكيره في المواضيع التاريخية العامة عن بلاد الشام، و لا حتى في آرائه حول تاريخ الدولة العثمانية، و عدائه لها مع أنه أعرب في هذا الصدد عن جملة من الملاحظات العميقة، و لكن في المادة العلمية القيمة والغنية بالأحداث، وفي التحليل الملموس للأحداث التي كان شاهداً لها، بل و مشاركاً في صناعتها باعتباره المسئول الأول الممثل للجانب الروسي في بلاد الشام. وفي كونه استطاع أن يبعث من جديد جو و روح العصر على نحو مميز و برؤية علمية .

و قد أصبح هذا الكتاب مرجعاً مهماً ورئيساً بالنسبة لكثير من الأدباء الروس، وهو بالغ الأهمية لا يعادله أي كتاب استشرافي آخر حول تاريخ بلاد الشام في القرن التاسع عشر الميلادي.

كما ترجع أهمية هذا الكتاب إلى أن قسطنطين بازيلى كان أحد القناصل الروس البارزين لدى الدولة العثمانية، وممن عالجوا الوجود الروسي في بلاد الشام من خلال اهتمامه بتاريخ سورية وفلسطين، كما تمتع بازيلى بثقافة تاريخية وأدبية عالية جعلته موضع اهتمام كل من زار بلاد الشام من العلماء والكتاب والشعراء ورجال الدين الروس.

هكذا، عاش قسطنطين بازيلى حياة حافلة بالعمل الدبلوماسي والحياة الأدبية طوال حياته حتى وفاته في ١٠ فبراير ١٨٨٤م بعد عمر ناهز الخمسة وسبعين عاماً .

الهوامش

- (١) منصور إبراهيم الحازمي : رحلات العرب في جزيرة العرب، "بلاد العربية" ١٩٠١-١٩٧٢م، مجلة الدارة، ربيع الآخر ١٤٠٠هـ/ مارس ١٩٨٠م، ع٣، ص٣٠.
- (٢) محمد بن ميمون العاصي التوزاني: رحلة محمد بن ميمون العاصي التوزاني، تحقيق عبد الله عاصم (دار النشر المغربية)، الدار البيضاء، ١٩٩٧م، ص٤.
- (٣) منصور إبراهيم الحازمي : بلاننا في عيون الرحالة عهد الملك عبد العزيز (١٣١٩-١٣٧٣هـ/ ١٩٠٢-١٩٥٣م) ، الرياض ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م ، ص٢٨.
- (٤) أوديسا، أكبر ميناء بحري روسي، و تقريبا الميناء الوحيد في العهد القيصري الذي كان يتم عبه نقل البضائع و الركاب. انظر: جينادي جور باتشكين: مصر في الارشيفات الروسية ، ترجمة إيمان يحيى، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١٣م ، ص ١٧.
- (٥) نيكولاي جوجول، كاتب روسي شهير، يعد من أشهر أبناء الألب الروسي، ولد في أول أبريل ١٨٠٩م ، و من أعماله الأكثر شهرة رواية "النفوس الميتة" و قصته القصيرة "المعطف" ، بالإضافة إلى المسرحيتين الكوميديتين " المقش العام" ، " وخطوبه".
- (٦) قسطنطين بازيلي: سورية و فلسطين تحت الحكم العثماني، ترجمة طارق معصراني، دار التقدم، موسكو، ١٩٨٩م ، ص٤.
- (٧) محمد حبيب صالح : الدبلوماسية في مصر و بلاد الشام خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر، مجلة دراسات تاريخية، العددان ٦٧ ، ٦٨ ، ١٩٩٩م ، ص ٢٤٩.
- (٨) الإسكندرية، من أهم المدن الساحلية في مصر، اتخذها محمد علي باشا مقراً للبعثات الأجنبية ، واعتبرت الإسكندرية حتى القرن التاسع عشر مدينة " الخواجات" حيث كان يسكنها عدد كبير من الجاليات الأجنبية . انظر: أشرف محمد عبد الرحمن مؤنس: الرحالة والمستشرقون الروس ورؤيتهم لمصر إبان فترة حكم محمد علي باشا، مكتبة الآداب، القاهرة ، ٢٠١٥م، ص ٢٩.
- (٩) م. ريجنكوف، أ. سيمليا تسكاليا سوريا و لبنان و فلسطين في النصف الأول من القرن ١٩، منكرات رحلة و تقارير علمية و اقتصادية نقله للعربية يوسف عطا الله ترجمة مسعود ضاهر، دار النهار للنشر ، بيروت، ١٩٩٣م ، ص ٣٣٥.

(10) Derek Hopwood, The Russian Presence in Syria and Palestine, review by tibawi, A:I, middle east. Journal, Vol. 24, No, 3, 1970. PP. 18-19.

(١١) قسطنطين بازيلي: المصدر السابق ، ص ٥ ، و قد ترجمه للعربية المترجم طارق معصراني و نشر في دار التقدم بروسيا عام ١٩٨٩م.

(12) Derek Hopwood, The Russian Presence in Syria and Palestine, review by tibawi, A:I, middle east. Journal, Vol. 24, No, 3, 1970. PP. 18-19

(١٣) بيرمينوف: الروس في بلاط محمد علي، بحث في كتاب نحن و العرب، دار التقدم ، موسكو ، ١٩٨٨م ، ص ١٧٩.

(14) <http://www.almutawaset.org/ara/indexphp?view=articlecatid=8%>

(١٥) قسطنطين بازيلي: المصدر السابق، ص ص ٢٤-٣٥٧.

(١٦) Ar .m.wikimedia.ORG وانظر أيضًا: أشرف محمد عبد الرحمن مؤنس : تاريخ مصر الحديث ، مكتبة الآداب ، القاهرة، ٢٠١٨م، ص ص ١٤٤-١٤٦.

(١٧) النصيرية ، مدينة شرق اللاذقية في بلاد الشام ، ينتمون للمذهب الشيعي الأثنا عشري وتعد هذه الطائفة من غلاة الشيعة الذين ادعوا الألوهية في علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، مؤسس هذه الطائفة هو محمد بن نصير البصري النمري (توفي عام ٢٧٠هـ) وقد اطلق عليهم الأتراك اسم النصيريين نسبة إلى الجبال التي كانوا يسكنونها ولذا عرفوا باسم "النصيرية" وبعد ذلك سمو باسم " العلويين" تمويهاً على الناس وتغطية حقيقة مذهبهم وهم يحرصون على هذا الاسم الآن . انظر: سليمان الحلبي (الدكتور) : طائفة النصيرية ، المطبعة السلطانية ، القاهرة ، (د.ت) ، ص ٩٥ . والنصيريون لهم عداة للإسلام والمسلمين وقاموا بثورات كثيرة وخروج على الحكام المسلمين السنة ولذا قام العسكر من الديار المصرية لنصرة أهل الشام . انظر: محمد أمين غالب الطويل : تاريخ العلويين ، اللاذقية ، ١٩٢٤م ص ٣٩١.

(١٨) قسطنطين بازيلي: المصدر السابق ، ص ص ٣٣١-٣٣٢.

(١٩) نفسه.

(٢٠) نفسه، ص ٤.

(٢١) نفس المصدر و الصفحة.



- (٢٢) كان لروسيا وكالات قنصلية في كل من حلب و اللاذقية و بيروت و صيدا، وكان يتولى أمر هذه الوكالات وكلاء قنصل و كان أغلبهم من التجار المحليين و التجار الأوروبيين المقيمين في بلاد الشام، و كان أداء هؤلاء الوكلاء أداء رديء ومن هذا جاد اقتراح التغيير. انظر: قسطنطين بازيلى: المصدر السابق، ص ٥.
- (٢٣) نفسه، ص ٦.
- (٢٤) نفس المصدر والصفحة.
- (٢٥) نفسه، ص ص ٥، ٦.
- (٢٦) نفسه، ص ٢٠٨.
- (٢٧) أرئين بك، من تلاميذ البعثة الأولى (١٨٢٦م) التى أرسلها محمد على إلى فرنسا، عاد من فرنسا بعد أن أتم دراسة الحقوق و الإدارة الملكية و عين وكيلاً لمدرسة المهندس خانة ببولاق، ثم سكرتيراً أول و ترجماناً لمحمد علي باشا، و قد صار ناظرًا للتجارة و الخارجية خلفاً لباغوص بك، و هو والد يعقوب أرئين باشا و كبل نظارة المعارف العمومية سابقاً. انظر: عبد الرحمن الرافعي: عصر محمد علي، الجزء الثالث، الهيئة المصرية العلمية للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص ٤٨٥.
- (٢٨) قسطنطين بازيلى: المصدر السابق، ص ص ٢٠٨، ٢٠٩.
- (٢٩) نفسه، ص ٢٠٩.
- (٣٠) نفس المصدر و الصفحة
- (٣١) نفسه، ص ص ٢٠٩، ٢١٠.
- (٣٢) نفسه، ص ٢١٠.
- (٣٣) نفسه ٢١٠، ٢١١.
- (٣٤) عبد الرحمن الرافعي : المرجع السابق ، ص ٢٢٣.
- (٣٥) نفس المرجع والصفحة .
- (٣٦) قسطنطين بازيلى : المصدر السابق ، ص ١٨١؛ وانظر : بيرمنيوف ، المرجع السابق ، ص ١٨٣.
- (٣٧) قسطنطين بازيلى : المصدر السابق ، ص ٢٠٨؛ وانظر : بيرمنيوف ، المرجع السابق ، ص ١٨١.
- (٣٨) قسطنطين بازيلى : المصدر السابق ، ص ٢٠٨.
- (٣٩) نفسه ، ص ص ٢٠٧، ٢٠٨.
- (٤٠) نفسه ، ص ص ٢٠٦ - ٢٠٧.